JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثامن
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ
العدد الثامن
(١٧٥)-(١٩١)

إنجازيَّةُ الأفعالِ في كتابِ البخلاء للجاحظِ (٢٥٥هـ)

م. م. ندى جبر عاشور غضيب
كلية الكوت الجامعة / قسمُ اللغة العربيَّة
nadaj4545@gmail.com

الملخصُ :

تجسدتْ نظريةُ الأفعالِ الكلاميَّةِ في كتابِ البخلاءِ من خلالِ تقسيماتِ أوستين التي تمثلتْ في التقسيمِ الثلاثيّ: (فعل القول، والفعل المتضمن في القولِ، والفعل التأثيريّ)، إذ نقصدُ بذلكَ إنتاجَ التلفظِ في مقامِ الخطابِ وليس دراسةَ الجملةِ، ففعلُ القولِ لا يخلو كتابُ البخلاءِ منه، وغالبًا ما يقصدُ الجاحظُ منه الوصفَ والإخبارَ، أمَّا الفعلُ المتضمنُ في القولِ؛ فقد مثلتُ له في نماذجَ من رسالةِ سهلِ بنِ هارون، حيثُ استطاعَ الجاحظُ أنْ يجمعَ بينَ التحذيرِ والنصحِ، وهذهِ الرسالةُ تحتوي على أفعالٍ قوليَّةٍ إنجازيَّةٍ في الوقتِ نفسِهِ، أمَّا الفعلُ التأثيريُّ؛ فظهَر في قَصصِ البخلاءِ من خلالِ فعلِ الأمرِ، إذ يتركُ هذا الفعلُ أثرًا لدى المُرسِلِ والمُرسَل إليه، أمَّا التقسيمُ الخماسيُّ: اتضاحَ دورُ دلالةِ الأفعالِ وقوتِها الإنجازيةِ في التعبيرِ الجاحظيّ، إذ كان الجاحظُ بارعًا على التحكمِ بطرائقِ التعبيرِ مِنْ حيث الأفعالَ (الحكميَّة، والتمرسيَّة، والوعديَّات، والسلوكيَّات، والتعبيرات) وتنميتها لمعالجةِ أسلوبِ البخلِ في عصرِهِ بطريقةٍ فنيَّةٍ أدبيَّةٍ جميلةٍ، ساحرةِ النسيجِ.

الكلمات المفتاحيَّة: (انجازيةُ الأفعال ، الجاحظُ ، البخلاءُ، تقريريَّةُ ، أدائيَّةُ ، اللفظيّ، التأثيريّ ، الحكميَّة)

Performative Verbs in Al-Jahidh's Misers(255 H)

Nada Jabr Ashoor
Faculty of Arabic/ Arabic Literature
Kut University College / Department of Arabic Language
nadaj4545@gmail.com

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثامن
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

Abstract

Speech acts are used in Al-Jahidh's *Misers*, with the existence of a three-act level (locutionary, illocutionary, perlocutionary) following Austin's (1975) speech act theory. The locutionary act is the production of sentences in communication, and it is used in Misers for stating and describing things. The illocutionary act is concerned with advising and warning, and it is also used in Misers, in the Sahl Ibn Harun's treatise. The said treatise contained several examples of locutionary and illocutionary acts. As for perlocutionary act, it is used in Misers by commissives which are left to speakers and addressees to understand and represent. As for the five-act classification, it expressly suggests the semantic and performative force of actions and meanings following Al-Jahidh's style. The Misers proved that Al-Jahidh used commissives, directives, expressives, declaratives, and represntatives.

Keywords: Al-Jahidh; Misers; Abbasid fiction; Pragmatics; Speech acts.

مدخلٌ مفاهيميٌّ:

إنَّ دراسةَ التداوليَّةَ أو الأفعالَ الكلاميَّةِ لا تقتصرُ على الدراساتِ اللغويَّةِ كما يعتقدُ بعضُ الدراسين أو الباحثين، فهي لا يمكنُ عزلُها عن الدراساتِ الادبيَّةِ من حيثُ القوةُ الإنجازيَّة التي تؤديُها تلكَ الأفعالُ؛ وذلكَ لأنَّها " تدعو إلى دراسةِ العواملِ التي تؤثر في اختيارِ الشخصِ للغةِ، ثُمَّ ينتقلُ تأثيرُ هذا الاختيارَ في الآخرين مِنْ طريقِ التواصلِ والتفاعلِ حسبَ المرسلِ، وحسبَ رغبةِ المتلقي" **(عبد السلام، ٢٠١٤م: ١٠٠)**، وكان الجاحظُ سباقًا إلى دراسةِ نظريةِ الكلامِ، فكانتْ آراؤُهُ في هذا المجالِ مثارَ نقاشِ علماءِ اللسانياتِ، إذ افادوا من تلكَ الآراءِ وطوروها، هذا فضلًا عن تقديمةِ دراسةٍ وافيةٍ (لنظرية التلقي)، وفهمِه لدورِ كُلٍّ مِن الباثِ والمخاطبِ، أيَّ المتكلمِ والسامعِ ،مثلما يرى أصحابُ اللسانيَّاتِ اليومَ، وهم يقسمون القضيةَ إلى المُرسِلِ والمُرسَلِ إليه والنصِّ و الرسالةِ؛ لذلكَ أنَّ الباحثين في النظريةِ اللغويَّةِ يلحظون أنَّ الجاحظَ سبقَ إلى ظاهرةِ الكلامِ، فلم يغفلْ عنها. **(الخفاجي، ٢٠٠٨م: ٢٩٣)**

وإنَّ أهم ما يلفتُ النظرَ أنَّهُ كان يتعاملُ مع الحدثِ الكلاميِّ على أنَّهُ رسالةٌ تُبلَغُ إلى المخاطبِ، وهذا البعدُ هو أحدُ الأبعادِ الأساسيَّةِ في البلاغةِ العربيَّةِ، وهو بعدٌ جاحظيٌّ في أساسِهِ، وأنْ تخلي البديعيون عنه في مرحلةٍ لاحقةٍ أدى إلى اختزالِ البلاغةِ العربيَّةِ وتطبيقِ مجالِها، وتحظى نظريةُ التأثيرِ والمقامِ حاليًا بعنايةٍ كبيرةٍ في الدراساتِ الحديثةِ، أو المعاصرةِ، ومِنْ ثَمَّ الشروعُ في إعادةِ

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science ISSN 2306-5249
العدد الثامن
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

الاعتبارِ إلى البلاغةِ العربيّةِ تحتَ عنواناتٍ جديدةٍ منها نظريةُ الأفعالِ الكلاميَّةِ أو الحدثُ الكلاميّ. **(العمري، ١٩٩٩م: ٢٩٣)**

وأصبحَ مفهومُ الفعلِ الكلاميّ نواةً مركزيَّةً في كثيرٍ مِن الدراساتِ المعاصرةِ، أذ يَعدُّ (أوستين)، الّذي رفضَ لثنائية الصدقِ والكذبِ واقرارِهِ بأنَّ كُلَّ قولٍ عبارةٌ عن عملٍ، رائدُ هذهِ النظريَّةِ الّذي قدّمَ مفاهيماً دقيقةً حول الفعلَ الكلاميَّ، فعمد إلى دراسةِ اللغةِ؛ بوصفِها الوسيلةُ المثلى لوصفِ العالم، وبذلك صارَ يسيرًا لديه أنْ يحكمَ على كُلِّ الجملِ ما عدا الجملِ الطلبيةِ (الاستفهام، الأمر، التعجب)، بأنَّها صادقةٌ أو كاذبةٌ، على وفقِ مطابقتِها لمحكِ وصفِ العالمِ، أما حينَ لا تقوى على ذلكَ الفعلِ، فهي كاذبةٌ.**(الطائي، ٢٠١٦م: ٣٦٢)**، ومِن الطبيعيّ أنْ تستثني الجملَ الطلبيّةَ مِن تلكَ القاعدةِ؛ لأنَّها لا تحضَ بل تسيءُ لأحداثِ تغييرٍ ما، وسيصبحُ مقياسُها مغايرًا، إذ تقرنُ بالتوفيقِ، أو الاخفاقِ غير أنَّ ذلكَ التمييزَ لا يقومُ على ضبطٍ دقيقٍ، فكثيرٍ ما توصفُ بعضُ الجملِ بالطلبيةِ مِن دون أنْ تحصلَ على الخصائصِ التي تميزُها مِن الجملِ الوصفيَّة، وبذلك أعطى مكانةً أوَّلى للجملِ التي تصفُ الواقعَ على حسابِ الجملِ التي تهدفُ إلى ذلكَ. **(الطائي، ٢٠١٦م: ٣٦٣)**

ويرى جون ليونز أنَّهُ " كان هدفُ أوستين في البدايةِ على الأقل أَنْ يتحدى ما كان يعتبرُ مغالطةً وصفيَّةً، وهي فكرةُ أنَّ الوظيفةَ الوصفيَّةَ الفلسفيَّةَ المهمةَ الوحيدةُ للغةِ، هي إنتاجُ عباراتٍ خبريَّةٍ صادقةٍ أو كاذبةٍ، وعلى نحوٍ أدقٍ ،كان أوستين يتهجمُ على رأي عالمِ التحققِ المرتبطِ بالفلسفةِ الوضعيَّةِ المنطقيَّةِ التي تفيُد أنَّ الجملَ تكونُ ذاتَ معنى فقط، إذا كانتْ تُعبرُ عن قضايا يمكنُ التحققُ منها أو تنفيذُها" **(ليونز، ١٩٨٧م:١٩١)**، وإنَّ نظريةَ أفعالِ الكلامِ العامةِ لأوستن تعدُّ أوَّلَ محاولةٍ جادةٍ تتجاوزُ بالفعلِ الطرحِ الارسطيّ في كتابِهِ الخطابِ للقولِ الخطابيّ، والدراسةِ البلاغيَّةِ بإعادةِ تنظيمِ منطقِ اللغةِ الطبيعيَّةِ على ضوءِ الدراساتِ اللسانيَّةِ المعاصرةِ، مميزًا بين نوعين من الأفعالِ: أفعالٌ اخباريَّةٌ (تقريريَّة)، وأفعالٌ إنشائيَّةٌ (أدائيَّة) **(أوستين، ١٩٩١م:٥)**

وعلى أساسِ ذلكَ توصلَ أوستين إلى تقسيمِ الأقوالِ إلى قسمين هما: **(آن روبول، (د ـ ت):٣١)**

١ـ أفعالٌ إخباريَّةٌ (تقريريَّة). Telling (reporting) verbs

وهي أفعالٌ تصفُ وقائعَ العالمِ الخارجيّ، ومجالِها يحتملُ قيمتي الصدقِ والكذبِ.**(نخلة، ٢٠٠٢م: ٤٤)**، وأطلقَ عليها العربُ بالأساليبِ الخبريَّةِ، وهي أنَّ الكلامَ أنْ احتملَ الصدقَ والكذبَ لذاتهِ، بحيثُ يصحُ أنْ يُقالَ لقائلِهِ إنَّهُ صادقٌ، أو كاذبٌ، فيسمى كلامًا خبريًا والمرادُ بالصادقِ ما طابقتْ نسبةُ

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثامن
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

الكلامِ فيه الواقعَ، وبالكاذبِ ما لم تُطابقْ نسبةُ الكلامِ فيه الواقعَ، وفقَ معطياتٍ سياقيَّةٍ. (هارون، (د ـ ت): ١٣)

٢ـ أفعالٌ انشائيَّةٌ (أدائيَّة). Constructive (performative) verbs.

وهي الأفعالُ التي يُنجزُ بها المتكلمُ عملًا، ولا يقتصرُ على مجردِ الكلامِ به، ومن أشراطِ نجاحِهِ توافرُ عناصرُ الإرادةِ، والقصدِ، والقدرةِ، وحسنِ النيةِ، ونحوهن من مقتضياتِ المقامِ التي تتناسبُ مع الأعمالِ الكلاميَّةِ المُنجزة، وتجعلُها أعمالًا مفلحةً، وإذا لم يراعَ بساطُ الحالِ، ولم يطابقْ المقامُ مقامَهُ استحالتْ أعمالًا حبطة(**صلاح الدين، (د ـ ت): ٣**)، وإنَّ هذهِ الأفعالَ " لا تصفُ الواقعَ، ويحكمُ عليها بمعياري النجاحِ والتوفيقِ والإخفاقِ، وقد سمّاها (أوستين) بالأفعالِ الإنشائيَّةِ، وقد نفى وصفَها بالصدقِ أو الكذبِ". (**نخلة، ٢٠٠٢م: ٤٤**)

بعد ذلكَ استحدثَ (أوستين) تمييزًا جديدًا يراعي تلكَ الاستثناءاتِ، وينسجمُ مع مقولهِ (أنَّ كلَّ ملفوظٍ يُقابلُ بإنجازِ عملٍ لغويّ)، وبذلك تسنى له وضعَ تصنيفٍ ثلاثيّ: (**الطائي، ٢٠١٦م: ٣٦٤**)

١ـ فعلُ القولِ (اللفظيّ). The verb to say (verbal verb).

٢ـ الفعلُ المتضمنُ في القولِ (الإنجازي). The verb included in the saying (performativity verb).

٣ـ الفعلُ الناتجُ عن القولِ (التأثيريّ). The verb resulting from the saying (effective verb)

وإنَّ هذهِ الأفعالَ التي ننجزُها بوساطةِ اللغة، ارتأى أوستين أنْ يقسمها مِن حيثُ دلالتُها، وقوتُها الإنجازيَّة، إلى خمسةِ أقسامٍ وهي: (**الطائي، ٢٠١٦م: ٣٨٢ ـ ٣٨٣**)

١ـ الأفعالُ الدالةُ على الحكمِ(الحكميَّة) Verbs indicating judgment (judgmental verbs).

٢ـ أفعالُ الممارسةِ (التمرسيَّة). Verbs of practice (verbs of practice)

٣ـ أفعالُ الوعدِ (الوعديَّات). Promise verbs (promise verbs)

٤ـ أفعالُ الأخبارِ(السلوكيَّات). Verbs of news (behavioural verbs)

٥ـ أفعالُ العرضِ (التعبيرات). Presentation verbs (verbs of expressions)

سنتحدثُ في تطبيقاتِ هذا البحثِ، كيفيةِ تجلي نظريةِ الأفعالِ الكلاميَّةِ في المطلبِ الأوَّلِ، وقوتها الإنجازيَّة في المطلبِ الثَّاني، وفق (**منهج أوستين**) في التعبيرِ الجاحظيّ، إذ أخترْنا هذا

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثامن
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

المنهجَ؛ كوّنه المؤسسَ الأوَّلَ، والرائدَ لهذهِ النظريةِ، مِنْ خلالِ التقسيمين: الثلاثيُّ والخماسيُّ الآنفا الذكر، محاولين من خلالِهما وصفَ كتابِ البخلاءِ، ورصدِ خصائصِه، وتفسيرِ ظواهرِهِ التعبيريَّةِ؛ كوّن هذهِ النظريةُ دلاليَّةُ (فلسفيَّة) تهتمُ بالنمطِ التعبيريّ.

المطلبُ الأوَّلُ

(الأفعالُ الكلاميَّةُ اللفظيّةُ، والإنجازيّةُ، والتأثيريّةُ)

١ـ فعلُ القولِ (اللفظيّ). The verb to say (verbal verb)

وهو النطقُ بالجملةِ المفيدةِ متفقةً مع قواعدِ اللغةِ، ففعلُ القولِ يشتملُ بالضرورةِ على أفعالٍ لغويَّةٍ فرعيَّةٍ، وهي المستوياتُ اللسانيَّةُ المعهودةُ : المستوى الصوتيُّ، والمستوى التركيبيُّ، والمستوى الدلاليُّ، أيَّ فعلَ القولِ يقابلُ النطقَ بتلكَ المستويات،(**الطائي، ٢٠١٦م: ٣٦٤**)، لكن أوستين لم يطلقْ عليها مستوياتٍ، بل يسميْها أفعالاً، ويصنفْها كالآتي: (**عبد السلام، ٢٠١٤م: ١٠٩**)

١ـ الفعلُ الصوتيُّ: وهو التلفظُ بسلسلةٍ مِن الأصواتِ المنتمية إلى لغةٍ معينةٍ.

٢ـ الفعلُ التركيبيُّ: وهو يؤلفُ من مفرداتٍ طبقًا لقواعدِ لغةٍ معينةٍ.

٣ـ الفعلُ الدلاليُّ: وهو توظيفُ هذهِ الأفعالُ حسبَ المعانيّ وإحالات محددة.

إذ إنَّ (فعل القول) مجردُ قولٍ، يعني مجردُ التلفظِ بالفعلِ، ولا يخلو كتابُ البخلاءِ مِن هذهِ الأفعالِ، ومِن النماذجِ التي اخترتُها هي رسالةُ ابنُ التوأم، إذ يقول: "**ووجدنا عطيةَ الرجلِ لصاحبِه لا تخلو أنْ تكونَ لله، أو لغيرِ الله، فإنْ كانتْ لله، فثوابُهُ على الله، وكيف يجبُ عليّ في حجّه العقلِ شكرهُ، وهو لو صادفَ ابنَ السبيلِ غيري لمّا حملني ولا أعطاني، وإما أنْ يكونَ إعطاؤه إيّاي للذّكر، فإذا كانَ الأمرُ كذلك، فإنَّما جعلني سلماً إلى تجارتهِ وسبباً إلى بغيتهِ، أو يكونُ إعطاؤه إيّاي مِن طريقِ الرحمةِ والرقة، ولمَّا يجدُ في فؤادِهِ مِن العصرِ والألمِ، فإنْ كان لذلكَ أعطى، فإنَّما داوى نفسَهَ مِن دائِهِ، وكان كالّذي رفه مِن خناقه، وإنْ كان إنَّما أعطاني على طلبِ المجازاةِ وحبِّ المكافاةِ، فأمرٌ هذا معروفٌ، وأنْ كان إنَّما أعطاني من خوف يدي، أو لساني، أو اجترارَ معونتي ونصرتي، فسبيله سبيل جميع ما وصفنا وفصلنا**". (**الجاحظ، ١٩٩٠م: ١٧٤**)

وهذهِ قطعةٌ من رسالةِ ابنِ التوأم حيث أرسلها إلى الثقفي ردًا على رسالةِ أبي العاص عبد الوهاب الثقفيّ، ونلحظُ ورودَ الاحتجاجاتِ، فـ" تشكل هذهِ الفصيلةُ ما يربو على نصفِ كتاب البخلاءِ، وهي عبارةٌ عن مجموعةٍ من الوحداتِ الكلاميَّةِ الطويلةِ إذا ما قُورنت بالوحدات الأخرى". (**أمبيريك، (د . ت): ١٢٣**)

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثامن
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

والاحتجاجاتُ هي مجموعةٌ من الوحداتِ الكلاميَّةِ، كما يقولُ أحمدُ بنُ أمبيريك، والفعلُ الكلاميُّ في القصّةِ تمثلُ بالفعلِ (وجدنا)، فهو فعلُ القولِ وتلفظُ الجاحظُ به، وأرادَ به الوصفَ والأخبارَ، فالوصف تمثلُ بتقسيمِ ابنِ التوأم العطاءِ إلى قسمين: فالقسمُ الأوّلُ هو العطاءُ لله، والقسمُ الثاني هو ما كان لغيرِ اللهِ، أيَّ إنَّهُ وصفُ عطيةِ الرجلِ لصاحبِه، وأمَّا الأخبارُ، فمجردُ تلفظُ الجاحظ للفعل (وجدنا) فتحققَ فعلُ القولِ لجمهورِ المتلقين يسمعونه ويقرؤونه.

ونلحظُ أنَّ ابنَ التوأم حصرَ العطاءَ هذين القسمين، ثُمَّ " ناقشَ كلا من النقطتين على حدة مقلبًا إياها على جميعِ الوجوهِ، ومناقشًا لكلِّ التفريعاتِ والاحتمالاتِ التي يتصورُ العقلُ أنْ تتولدَ عنها، مستخدمًا أسلوبَ الشرطِ في الافتراضِ والاستنساخ " **(أمبيريك، (د . ت): ١٢٥)**، فأسلوبُ الشرطِ تجلى في الأداةِ الشرطيَّةِ في قولِهِ: (فإذا كان الأمرُ كذلكَ)، فالمُرسِلُ في الرسالةِ هذه، هو ابنُ التوأم، والمُرسَلُ إليه هو الثقفيّ، وأمَّا الرسالةُ، فموضوعها هو الردُ على جوابِ أبي العاص، فكتبَ ابنُ التوأم الرسالةَ وبعثَها إلى الثقفيّ، حيثُ كان مضمونُ الرسالةِ يدعو إلى الكرمِ، وفيها عتبٌ وهجاءُ لأبي العاص؛ لأنَّه تأثرَ مِن رسالتِهِ.

٢ـ الفعلُ المتضمنُ في القولِ (الإنجازيّ). The verb included in the saying (performativity verb)

إنَّ هذا الفعلَ يُرادُ به الحدثَ الّذي يقصدُهُ المتكلمُ بالجملةِ، كالأمرِ، أو النصيحةِ، وهذا الصنفُ من الأفعالِ الكلاميَّةِ هو المقصودُ من النظريةِ برمتها؛ ولذا اقترحَ أوستين تسميةَ الوظائفِ اللسانيَّةِ الثانويةِ خلف هذهِ الأفعالِ (القوى الانجازيَّة)، ومن أمثلةِ ذلكَ السؤالِ، وإجابة السؤال إصدار تأكيد، أو تحذير، أو وعد، أو أمر، وإنَّ الفرقَ بين الفعلِ الأوَّلِ والثّاني هو أنَّ الثّاني قيام بفعلٍ ضمنَ قولٍ معينٍ، في حين أنَّ الفعلَ الأوَّلَ مجردُ قولٍ، وإنَّ القوةَ الإنجازيَّةَ تعرفُ بهذا الفعلَ الثاني. **(الطائي، ٢٠١٦م: ٣٦٤)**، إذن هو" العملُ الّذي يتحققُ بمقولنا شيئاً ما" **(موشلار، (د ـ ت): ٣٢)**، وهذا يعني التلفظ، والإنجاز معًا، ومن مسوغاتِ ذلكَ نصّ الجاحظِ الذي يقولُ فيه: " **أصلحَ اللهُ أمرَكم وجمعَ شملكم، وعلّمَكم الخيرَ وجعلكم من أهلِه، قال الأحنفُ بنُ قيس: يا معشرَ بني تميم لا تسرعوا إلى الفتنةِ، فإنَّ أسرعَ الناسِ إلى القتالِ أقلَهم حياءً مِن الفرارِ، وقد كانوا يقولون: إذا أردت أنْ ترى العيوبَ جمّةً فتأمل غيّاباً، فإنَّه فإنَّما يعيبُ بفضل ما فيه من العيبِ، وأوَّلُ العيبِ أنْ تعيبَ ما ليس بعيبٍ، وقبيحٌ أنْ تنهى عن مرشدًا وتغرى بمشفق، وما أردنا بما قلنا إلَّا هدايتكم وتقويمكم، وإلَّا إصلاحَ فسادِكم وإبقاء النعمة عليكم. ولئن أخطانا سبيل إرشادكم فما أخطانا سبيل حسن**

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثامن
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

النية فيما بيننا وبينكم، ثُمَّ قد يقولون أنّا ما أوصيناكم إلَّا بما قد اخترنا لأنفسنا قبلكم، وشهرنا به في الآفاق دونكم، فما كان أحقُكم ـ في تقديمِ حرمتنا بكم ـ أنْ ترعوا حقَّ قصدنا بذلكَ إلليكم وتنبيهنا على ما أغفلنا من واجبِ حقِّكم". (الجاحظ، ١٩٩٠م: ٩) .

يمثلُ هذا النصُّ بدايةً ومستهلَ رسالةِ سهلِ بنِ هارون، والتي بعثها إلى محمدِ بنِ زياد، وإلى بني عمَّه من آلِ زياد، حين ذموا مذهبه في البخلِ وقاموا بتتبعِ كلامِهِ في الكتبِ، وتعدُّ هذهِ الرسالةُ أوَّلَ ما افتتحَ الجاحظُ به كتابَهُ.

فرسالةُ سهلُ بنُ هارون وُضِعَتْ في أصولِ البخلِ وفلسفته، وتعدُّ ركنًا أساسيًّا من أركانِ البخلِ، وتمثلُ هذهِ الرسالةُ ردًا وجوابًا يدافعُ سهلُ بنُ هارون من خلالِها عن نفسِهِ عندما اتهموه بالبخلِ.(سعدو، ٢٠١٠م: ٩٥).

إذ بدأ سهلُ بنُ هارون رسالته بالبسملةِ، وبعدها بالدعاءِ للذين انتقدوه بصلاحِ أمرهم، وهذا الاستهلالُ يحتلُ أهميَّةً إيحائيَّةً تدلُ على المهارةِ الفكريَّةِ لسهلِ بنِ هارون " فالاستهلالُ يحتلُ مكانةً بارزةً مِن حيثُ أهميته مِن ناحيةٍ، ومن حيثُ علاقته ببقية أجزاءِ النصّ مِن ناحيةٍ أخرى، وتحكمُه كذلكَ في هذهِ الأجزاءِ، ففي الغالبِ يركزُ المرسلُ كُلَّ جهودِه في هذهِ الجملةِ، إذ يكونُ ما بعدها غالبًا تفسيرًا لها".(الفقي، ٢٠٠٠م: ٦٥).

ويحاولُ سهلُ بنُ هارون استمالةَ واقناعَ المتلقي من خلالِ هذهِ البنيةِ الاستهلاليَّةِ عندما استندَ إلى قولِ الأحنفِ بن قيس (يا معشرَ تميمٍ)، وكان الأحنفُ بنُ قيس من أكبرِ الخطباءِ اللذين يُضربُ بهم المثلُ في الحلمِ، والكياسةِ، والعلمِ، وكان اختيارُه لهذا الخطيبِ لهدفِ التأثيرِ في المتلقي، وتتضمنُ هذهِ الرسالةُ محتوى أخباريّ تواصليّ، إذ عمّدَ إلى جذبِ انتباه المتلقي مِن خلالِ الضمائرِ التي استعملها سهلٌ في رسالتهِ، واستمالة خصمِه، ويذهبُ عن نفسِهِ تهمةُ اتصافه بالبخلِ، والصاقِها بغيرِه. (سعدو، ٢٠١٠م:١٠٢ ـ ١٠٣)

وهذهِ الضمائرُ كُلُّها تدلُ على الجمعِ، ويتمثلُ فعلُ القولِ في الرسالةِ بالفعلِ (لا تسرعوا)، فهو فعلُ قولٍ سُبِق بالنهي، وهو يحذرهم من الإسراع إلى الفتنةِ، وهذا الفعلُ الكلاميُّ جمعَ بين التحذيرِ(لا تسرعوا)، والنصحِ (فإنْ أسرعَ الناسُ إلى القتالِ أقلهم حياءً من الفرارِ)، وتمّ إنجازُ ما قالَه المُرسلُ، وتحتوي الرسالةُ على أفعالٍ قوليَّةٍ أخرى مثل: (اردنا)، فهو فعلٌ قوليٌّ وإنجازيٌّ أيضًا، فهو قوليّ بمجرد التلفظ به، وإنجازيّ عندما أراد في بدايةِ الرسالةِ الهدايةِ، والتقويمِ وإصلاح فسادِهم، وإبقاء النعمة.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثامن
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

٣ـ الفعلُ الناتجُ عن القولِ (التأثيريّ). The verb resulting from the saying (effective verb)

يحدثُ بوساطةِ هذا الفعلِ، تأثيرٌ عمليٌّ للقولِ الّذي يقومُ به المتلقي كقبولِ الدعوةِ، و إجابةِ السؤالِ، وامتثالِ الأمرِ(**الطائي، ٢٠١٦م: ٣٦٤**)، أو هو "ما يتركُه الفعلُ الإنجازيُّ من تأثيرٍ في السامعِ أو المخاطبِ، سواءٌ أكان التأثيرُ جسديّاً أم فكريّاً، والغايةُ منه حملةُ على إتخاذِ موقفٍ أو تغيرِ رأي" (**جلولي، (د ـ ت): ٥٩**) ومن ذلكَ قولِ الجاحظِ في إحدى قصصه: "**سلْ عني صعاليكَ الجبلِ، وزواقيل الشام، وزط الآجام ورؤوس الأكراد، ومردة الأعراب، وفتاك نهربط ولصوص القفص، وسلْ عني القيقانية، والقطرية وسلْ عني المتشبة وذباحي الجزيرة: كيف بطشي ساعة البطش وكيف حيلتي ساعة الحيلة، وكيف أنا عند الجولة، وكيف ثبات جناني عند رؤية الطليعة، وكيف يقظتي إذا كنت ربيئة، وكيف كلامي عند السلطان إذا اخذت، وكيف صبري إذا جلدت، وكيف قلة ضجري إذا حُبست ... وأنت غلام، لسانك فوق عقلك، وذكاؤك فوق حزمك لم تجمك الضراء، ولم تزل في السراء والمال واسع، وذرعك ضيق، وليس شيء اخوف عليك عندي من حسن الظن بالناس، فاتهم شمالك على يمينِك وسمعك على بصرِك، وخف عباد الله على حسب ما ترجو الله**". (**الجاحظ، ١٩٩٠م: ٤٩ ـ ٥١**)

تمثلُ هذهِ الوصيةُ جزءًا من حديثِ خالدِ بنِ يزيد مولى المهالبةِ، وهو خالويه المكدي إلى ابنه، وهي رسالةٌ تأثيريَّةٌ، والمرسلُ لهذهِ الرسالةِ هو خالدُ بنُ يزيد، أمَّا المُرسَلُ إليه فهو ابنُهُ.

أراد خالدُ بوصيته هذهِ " أنْ يثيرَ إعجابَ ابنِهِ واندهاشِه لهذهِ القوةِ الجبارةِ التي مثلَها أبوه، والتي بفضلِها جمعَ ما يخلفُه له من المالِ، فيأخذُه مثالاً أعلى ويحافظُ على الثروةِ التي سيرثها؛ لأنَّه لا يستطيعُ أنْ يوظفَ هذهِ القوةَ الهائلةَ التي بفضلِها حصلَ أبوه على الثروةِ ". (**أمبيريك، (د ـ ت): ١٢٤**).

والفعلُ الكلاميُّ في القصَّةِ هذهِ، هو فعلُ الأمرِ (سل) واستعملَهُ المُرسِلُ أكثرَ مِنْ مرةٍ، وهو فعلٌ قوليٌّ إنجازيٌّ تأثيريٌّ، فالمُرسِلُ خالدُ بنُ يزيد أراد أنْ يقنعَ ابنَهُ ويؤثرَ فيه مِن طريقِ التهويلِ والتفخيمِ عندما ذكرَ له حياتَهُ التي عاشَها في سبيلِ جمعِ المالِ له، وهو يأمرُهُ بالحفاظِ على الثروةِ التي جمعَها له، ثُمَّ يوجهُ الخطابَ له باستعمالِهِ ضميرِ المخاطبِ (أنت)، ويحذرُه من حسنِ الظنِ بالناسِ، وبعد التحذيرِ يأتي فعلٌ قوليٌّ آخرُ، وهو فعلُ الأمرِ(خف)، فهو تأثيريٌّ؛ لأنَّهُ جعلَ الابنَ يحذرُ ويخافُ من الناسِ.

المطلب الثّاني

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثامن
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

(دلالةُ الأفعالِ وقوتها الانجازيَّة)

١ـ الأفعالُ الدالةُ على الحكمِ (الحكميَّة). Verbs indicating judgment (judgmental verbs)

وتتمثلُ في حكمٍ يصدرُهُ شخصٌ ما، فتبثُ في بعضِ القضايا التي تتركزُ في سلطةٍ معترفٍ بها رسميًّا، أو سلطةٍ أخلاقيَّةٍ، كما لا يشترطُ أنْ تكونَ إلزاميَّةً، فهي تدلُ على تعميمٍ، و تقويمٍ أو ملاحظةٍ، **(عبد السلام، ٢٠١٤م:١١١)**، ويعرّفها أوستين بأنَّها "مجموعُ الأحكامِ، والقراراتُ القضائيَّةُ يختصُ بكوّنه ناتجًا عن إصدارِ حكمٍ، وليس من الضروري أنْ تكونَ هذهِ القراراتُ نهائيَّةً، فقد يكونُ الحكمُ مثلاً تقديريًّا، أو على صورةِ رأيٍ تقييميٍّ". **(أوستين، ١٩٩١م: ١٧٤)**، ومن أمثلةِ ذلكَ في البخلاءِ قولِه:

" فدعْ عنكَ خلطةَ الإمّعة، فإنَّه حارضٌ لا خيرَ فيه، واجتنبْ ركوبَ الجموحِ فإنَّ غايتُه قبلَ الذواقِ ـ ولا خيرَ في المتلون ـ ذي التصميم، والمتلون شرٌّ من المصمّم". (الجاحظ، ١٩٩٠م: ١٧٠)

إنَّ هذهِ القطعةَ جزءٌ مِن رسالةِ ابنِ التوأم، إذ استعملَ ابنُ التوأم الأساليبَ التوجيهيَّةَ مِن خلالِ استعمالِهِ أفعالِ الأمرِ، فالهدفِ مِن هذهِ الأساليبِ تحقيقُ قصد المخاطب، وتحقيقُ هدفه الخطابيّ، وهذه الأوصافُ التي وصفَ فيها ابنُ التوأم خصمَهُ إنَّما قصدَ منها الحطَ من شأنِ الخصمِ، ونعته بالإمعة، والخارص، والجموح، وغيرها من الأوصاف، ومن خلالِ هذه الأوصافِ تتكونُ شخصيَّةُ الخصمِ لدى المتلقي.**(سعدو، ٢٠١٠م: ١٥٣ـ١٥٤)** .

فإنَّ ابنَ التوأم باعتبارِه هو الشخصيَّةُ المُرسلةُ لهذهِ الرسالةِ، فقد تحكمُ بالملفوظاتِ، والتعابيرِ، والصفاتِ التي وردتْ فيها، ويُعدُّ الجاحظُ هو المُرسلُ الأوَّلُ لها، وكأنَّه تحدثَ على لسانِ ابنِ التوأم، وعند تلفظُ ابنَ التوأم بالأفعالِ (دع، اجتنب)، وهما فعلانِ صريحانِ يدلانِ على الأمرِ، وهو يأمرُ بأنْ يتركَ خلطةَ الإمعةِ ويجتنبَ ركوبَ الجموحِ، وهذانِ الفعلانِ (دع، اجتنب) فعلانِ كلاميَّانِ أصدرَ من خلالِهما حُكمًا تمثلَ بالأمرِ.

٢ـ أفعالُ الممارسةِ(التمرسيَّة). Verbs of practice (verbs of practice).

وهي التي تُعبرُ عن إتخاذِ قرارٍ لصالحٍ أو ضدِّ شخصٍ ما، والتي لها القوةُ في فرضِ واقعٍ جديدٍ مثل: الانتخابِ أو التعيينِ الرسميّ، أو الاستشارةِ، وهي تحكيمُ أكثرَ منه تقديرًا وقرارًا أكثرَ منه حكم، **(عبد السلام، ٢٠١٤م: ١١١)** ويربطها أوستين بالجانبِ البراغماتيّ للسلطة، فهي: "ممارسةُ السلطةِ، وأمثلة ذلكَ: التعيينُ في المناصبِ، وإصدارِ الأوامرِ التفسيريَّةِ" **(أوستين، ١٩٩١م: ١٧٤)**، وتتمثلُ

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثامن
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

هذهِ الأفعالُ في قطعةٍ هي جزءًا من رسالةِ أبي العاص، إذ يقولُ: " **وأحذر ان تخرج مِنْ مالكَ درهماً حتى ترى مكانه خيراً منه، ولا تنظرْ إلى كثرته، فإنَّ رملَ عالج لو أخذَ منه، ولم يردْ عليه، لذهب عن آخره**".(الجاحظ، ١٩٩٠م: ١٧١)

تمثلُ هذهِ القطعةُ جزءاً مِن رسالةِ أبي العاصِ بنِ عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفيّ إلى الثقفيّ، ومضمون الرسالةِ أنَّ المُرسِلَ ـ أبي العاص ـ أرسلَها إلى ابنِ التوأم متهمًا إياه بالبخلِ، وتمثلُ القطعةُ الصنفَ الثّاني من أصناف الفعلِ الإنجازيَّ.

وإنَّ هذهِ القطعةُ فيها نوعٌ من المقابلةِ، والملاحظِ على هذهِ المقابلةِ إنَّها تقعُ على المحورِ الزمنيّ، فلا يوجدُ تقابلٌ فعليّ، وهكذا تكونُ المقابلاتُ تعبيرًا عمَّا يختلجُ نفسُ البخيلِ من خوفٍ مِن مصائبِ الدهرِ، وأعداده للمستقبلِ، وهو ينصحُ غيرَهُ مِن الوقوعِ بالفقرِ، وإنَّ أيَّ عطاءٍ مهما كان يسيرًا يؤدي بصاحبِه إلى الفقرِ، ويكفي أنْ ينفقَ المرءُ درهمًا واحدًا حتى ينقلبَ وضعه من الفقرِ إلى الغنى. (أمبيريك، (د ـ ت):٨٩ـ ٩٠).

إذ إنَّ المُرسَلَ إليه في هذه الرسالة هو ابن التوأم، وهو يعرفُ مقصدَ المرسلِ لهذه الرسالةِ، وقامَ بالردِ عليه، فمن إطارِ مضمونِ الرسالةِ؛ لأنَّ "المرسلَ إليه يفهمُ ما يضمره في خطابهِ تمامًا، مثلما يفهمُ ما يظهره فيه، فإذا كانتْ تتجلى كفاءةُ المرسلِ التداوليَّةِ في صناعةِ الخطابِ، فأنَّه تتجلى كفاءةُ تداوليَّةِ للمرسلِ إليه عند تأويلِ الخطابِ للوصولِ إلى مقاصدِ المرسلِ". (الشهري، ٢٠٠٣م: ٤٧٦).

وهذا يعني أنَّ المرسلَ يجبُ أنْ يكونَ عليمًا بكُلِّ أساليبِ البخلاءِ، ويجبُ أنْ تكونَ التعابيرُ التي يستعملها المرسلُ في تكوين رسالتهِ، مفهومةً لدى المرسلِ إليه؛ كي يستطيعَ فهمَ مضمونِ الرسالةِ ويصلَ إلى مقصدِ المرسلِ، وابتدأتْ القطعةُ بالفعلِ (أحذر)، وهو فعلٌ قوليٌّ إنجازيٌّ يمثلُ في تمرسِ المرسلِ وخبرتِه في حياةِ البخلاءِ، وكيفيةِ الحفاظِ على المالِ، فهو ينصحُ المُرسَلَ إليه، ويحذرُه من ضياعِ المالِ، ولو كان درهمًا واحدًا، ويحذرُه بأنْ لا يخرجُ درهمًا من مالِه حتى يرى مكانَ هذا الدرهمِ خيرًا منه أيَّ زيادة عليه، ثُمَّ ينهي المرسلُ إليه عن النظر إلى كثرتِه من خلال الفعلِ وأداةِ النهي (لا تنظر).

٣ـ أفعالُ الوعـدِ (الوعديَّات). Promise verbs (promise verbs)

إنَّ هذهِ الأفعالُ تؤسسَ لدى المتكلمِ إلزامَيَّةَ القيام بعملٍ معترفٍ به مِن قبل المخاطبِ، وكذلكَ إنَّ المتكلمَ يتفوه بكلامٍ يؤسسَ به وجوبَ القيامِ بمحتوى قولِهِ، كما يحملُ المخاطبِ على الاعترافِ بهذه الإلزاميَّة مثل: أعد، اتعاقد على، التعهد، القسم، (عبد السلام، ٢٠١٤م: ١١١)، فيرى أوستين " أنَّ من

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثامن
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

واجبِ المتكلمِ أنْ يلتزمَ بأقوالِهِ، ويوجبَ عليه المُرسلُ تضمينَ كلامِه بألفاظِ تثبتُ هذا الالتزامِ"، **(أوستين، ١٩٩١م:١٧٤)**، ويمكنَ أنْ نلمسَ هذا الصنفَ في حديثِ خالِدِ بنِ يزيد، إذ يقولُ: " **فإنْ سلكْتَ سبيلي صار مالُ غيرك وديعةً عندك، وصرتَ الحافظَ على غيرك، وإنْ خالفتَ سبيلي صار مالكُ وديعةً عند غيرك، وصار غيرُكَ الحافظَ عليك، وإنَّك يوم تطمعُ أنْ تضيعَ مالَكَ ويحفظُه غيرُك، لجشع الطمعِ مخذول الأمل**". **(الجاحظ، ١٩٩٠م: ٤٩)**.

تجسدَ في هذهِ القصَّةِ الصنفِ الثالث ألَّا وهو صنفَ الوعدياتِ، وهي قصَّةُ خالدِ بنِ يزيد، التي تمثلُ وصيةً من الأبِ إلى الابنِ، إذ نرى الوعدَ في القصَّةِ من طريقِ التحذيرِ بالتقابل، أيَّ إحلال أحدَ المتقابلين محلَ الآخرَ، والتقابل الأوَّل يوجُد في الحاضرِ، والثّاني يوجُد في المستقبلِ. **(أمبيريك، (د ـ ت): ٨٨ـ ٨٩)**.

والمقابلةُ تعبيرٌ عن تغيرِ الحالِ في هذهِ القصَّةِ، فالأبُ يتوعدُ لابنِه في الوصيَّةِ بأنَّه إذا سلكَ طريقَه، وسارَ على مذهبِهِ في البخلِ، فإنَّ مالَه يكونُ تحت تصرفِه ، ويكونُ مالُ غيرِهِ رهينةً عنده، أمَّا إذا خالفَ هذا المذهبَ فإنَّ مالَه سيذهبُ لغيرِه، ويكونُ غيرُه هو الحافظُ على مالِه والمالكُ له، والفعلُ الإنجازيّ تمثلَ بالفعلِ (سلكت)، ويؤكدَ هذا الفعلَ من خلالِ أداةِ التوكيدِ (أنَّ) والفعلُ الثاني (خالفتَ) وسبقَ بأداةِ توكيدٍ أيضًا، وهذا يعني توكيدُ المُرسلِ على مضمونِ رسالتِه وهو التوعدُ.

٤ـ أفعالُ الأخبارِ (السلوكيَّات)..Verbs of news (behavioural verbs)

وهي التي تعملُ ردَّ فعلِ تعبيرِ الآخرين على شكلِ سلوكيَّاتٍ، وهذه "كُلُّها تندرجُ تحتَ بابِ السلوكِ، والأعرافِ المجتمعيَّةِ، ومن أمثلتِها: الاعتذاراتُ، التهانيّ، والتعازيّ، والاستهجانُ" **(أوستين، ١٩٩١م: ١٧٤)**، وظهرتْ أفعالُ الأخباريَّاتِ في إحدى قصصِ البخلاءِ، إذ يقولُ الراوي "**وكان إذا أكلَ ذهبَ عقلُهُ، وجحظتْ عينُهُ، وسكرَ وسدرَ وانبهرَ، وتربدَ وجههُ، وعصبَ ولم يسمعْ، ولم يبصرْ، فلمَّا رأيتُ ما يعتر به وما يعتري الطعام منه، صرت لا آذن له إلَّا ونحن نأكل التمر والجوز والباقلي، ولم يفجأني قط وأنا آكل تمراً إلَّا استفه سفّاً وحساهُ حسواً، وزدا به زدواً، ولا وجده كنيزاً إلَّا تناول القطعة كجمجة الثور**" **(الجاحظ، ١٩٩٠م: ٧٩)** .

إن هذه القصَّةُ هي وصفٌ لشخصيَّةٍ علي الاسواري، وهو أحد البخلاءِ على لسان الحارثيّ، فهو يصفُ هذهِ الشخصيَّةَ بدقةٍ عند تناولِها الطعامَ، وقد اختلفَ الباحثون في وصفِ هذهِ الشخصيَّةِ، فمنهم مَنْ يرى أنَّها جمعتْ بين الوصفِ المباشرِ من خلالِ هيأتها، والوصفِ غيرِ المباشرِ من

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثامن
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

خلالِ أفعالِها، ومنهم مَنْ يرى إنَّ وصفَ هذهِ الشخصيَّةُ لم يقفْ عند تفاصيلِ الهيأةِ الخارجيَّةِ لها، بل هو وصفٌ يقفُ على الفعلِ والسلوكِ وطريقةِ تناولِ الطعامِ. (**الونسة،٢٠٠٤م: ١٨٤**) .

إذ جسدتْ هذهِ القصَّةُ الصنفَ الرابعَ من أصنافِ القوةِ الإنجازيَّةِ، وهو صنفُ الاخباريَّاتِ وهي كما بينا هي تعبيراتُ تجاهِ سلوكٍ معينٍ، والقصَّةُ فيها وصفٌ لسلوكِ علي الاسواري وردُّ فعلِ الحارثيّ الراويّ للقصَّةِ تجاهِ هذا السلوكِ، فهو يصفُه بأنَّه إذا تناولَ طعامَه ذهبَ عقلُهُ، وجحظتْ عينُهُ، وسكرَ وانبهرَ، وهو بسلوكهِ هذا أحدثَ ردَّ فعلٍ لدى الحارثي من خلال قولِه: (لا آذن له إلَّا ونحن نأكلُ)، وهذا دليلٌ على ظهورِ الحالةِ الانفعاليَّةِ النفسيَّةِ لدى الراوي، وقام باستهجانِه من خلال الأفعالِ الكلاميَّة (ذهب، جحظ، يفجأني) .

٥ـ أفعالُ العـرضِ (التعبيرات). Presentation verbs (verbs of expressions)

وهي أفعالٌ تستعملُ لتوضيحِ وجهةِ نظرٍ، أو تبيّنُ رأي، كما تدخلُ هذهِ الأفعالُ في علاقةٍ ما يقوله المتكلمُ عند الحديثِ من طريقِ الحجاجِ. (**عبد السلام، ٢٠١٤م: ١١٢**)، إذ يقولُ أوستين " تظهُر في الكلامِ عند توضيحِ وجهةِ نظرُ المتكلمِ، حيث تبينُ كيف أنَّ العباراتِ المتلفظَ بها تجري مجرى الاحتجاجِ والنقاشِ، ومِنْ أمثلةِ ذلكَ: أجيب، أعارض، أوضح، افترض" (**أوستين،١٩٩١م: ١٧٥**) وتجلتْ هذهِ الأفعالُ في قصَّةِ محمّدٍ بن أبي المؤمّل، إذ جاءَ فيها " **قلتُ لمحمدِ بن أبي المؤمّل: أراك تُطعِم الطعام وتتخذه وتنفق عليه المال وتجوده، وليس بين قلة الخبز وكثرته ربح، والناس يبخلون من قل عدد خبزه، ورأوا أرض خوانه، وعلى أني ارى جماجم من يأكل معك أكثر من عدد خبزك، وأنت لو لم تتكلفْ، ولم تحملْ على مالك بإجادته والتكثير منه، ثُمَّ اكلتُ وحدك، لم يلمْك الناس، ولم يكترثوا لذلك منك، ولم يقضوا عليك بالبخل ولا بالسخاء، وعشتَ سليماً موفوراً، وكنت كواحدٍ من عرض الناس، وأنت لو لم تنفقْ الحرائب، وتبذل المصون، إلَّا وأنت راغب في الذكرِ والشكرِ**" (**الجاحظ، ١٩٩٠م: ٩٤**).

هذه قصَّةُ محمّدِ بنِ أبي المؤمل، وهي قصَّةٌ تظهرُ فيها تقنيةُ الحوارِ الخارجيّ بشكل جلي، وسيتبين ذلكَ عند إكمالنا القصَّةَ فيما بعد، إذ يهدفُ هذا الحوارُ إلى الإقناعِ، والتأثيرِ، وبيانِ وجهةِ نظرٍ معينةٍ، ونلحظُ أنَّ هذا الحوارَ دارَ بين شخصيتين هما: شخصيَّةُ الجاحظِ وهو الراويّ الرئيسُ في القصَّةِ وهو راوٍ مشاركٌ في الأحداثِ وهو المرسلُ، والشخصيَّةُ الثانية تمثلتْ بشخصيَّةِ محمّدِ بنِ أبي المؤمل وهو المرسلُ إليه، وأرادَ الجاحظُ أنْ يثبتَ بخلِ محمّدِ بنِ أبي المؤمل، ولتحقيقِ غرضَه، فهو يتدرجُ تدرجًا لتحقيقه مِنْ خلالِ معرفتِه بأساليبِ البخلاءِ، فبدأ القصَّةَ بحوارٍ هادئ

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثامن
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

سلسٍ، وكأنَّه ينصحُهُ معتمدًا بذلكَ المنطقَ والحجةَ المقنعةَ، فهو يبدأُ بالخبزِ القليلِ الّذي أعده للجالسين، وقال له بأنَّ قلةَ الخبزِ تعني البخلَ، (الونسة، ٢٠٠٤م: ٢١٣).

فيردُ عليه قائلاً: " **قال يا أبا عثمان أنت تخطئ، وخطأ العاقل ابداً يكون عظيماً، وأنْ كان في العذر قليلاً،... بل الّذي أصنع أدلُّ على سخاء النفس بالمأكول، وأدلُّ على الاحتيال ليبالغوا؛ لأنَّ الخبز إذا كثر على الموائد ورث ذلك في النفس صدوداً، وكُلّ شيءٍ من المأكولِ وغير المأكول إذا ملأ العين ملأ الصدر، وفي ذلك موت الشهوة، وتسكين الحركة**" (الجاحظ، ١٩٩١م: ٩٥) .

ونلحظُ الردَ بالأسلوبِ الهادئ نفسِهِ الّذي بدأ به الجاحظُ، والّذي يوحي بدهاءٍ وفطنةٍ مِن خلالِ حجتِه التي قدّمَها للجاحظِ، ثُمَّ استدرجَه الجاحظُ ليحقق غرضه الّذي يسعى إليه، وقامَ بالاعتراضِ على كلامِهِ مِنْ خلالِ استخراجَه مِن كُلِّ تبريرٍ حجةً مناقضةً ومقنعةً. (الونسة، ٢٠٠٤م: ٢١٣-٢١٤)، **إذ يقولُ: " أنّي قد رأيتُ أكلهم في منازلهم وعند إخوانهم، وفي حالاتٍ كثيرةٍ ومواضعَ مختلفةٍ، ورأيتُ أكلهم عندك، فرأيت شيئاً متفاوتاً وأمراً متفاقماً" . (الجاحظ، ١٩٩٠م: ٩٥)**

فإنَّ الجاحظَ عبّرَ عن وجهةِ نظرِهِ مِنْ خلالِ تعبيرِه عن بخلِ هذهِ الشخصيَّةِ، ووجهةِ النظرِ العامةِ التي أرادَ اثباتها مِنْ خلالِ اعتراضِهِ على محّمدِ بنِ أبي المؤمل، هي أبرازُ أنَّ البخلَ أصبحَ لدى البخلاءِ بما فيهم أبي المؤمل مبدأً يتخذونه، ومنهجًا يسيرون عليه، ويدافعون عنه، ومن الأفعالِ الكلاميَّةِ التي أنجزتْ قولَ الجاحظِ في هذهِ القصَّةِ هما:(أراك، رأيت)، وأنجزتْ هذهِ الأفعالِ مِنْ خلالِ اعتراضِ الجاحظِ على بخلِ أبي المؤمل وبيانِ وجهةِ نظرِهِ .

خاتمة البحث:

يشكلُ التراثُ العربيُّ ولا سيما الجاحظيّ مصدرًا من مصادرِ الدراساتِ النقديَّةِ الحديثةِ، فالجاحظُ أسس لكثيرٍ مِن النظرياتِ مِن خلالِ مؤلفاتِه المتنوعةِ، وأهمها البيانُ والتبيينُ، والبخلاءُ، والحيوانُ، فكان البخلاءُ الّذي نحن بصدد دراسته، مِنْ أهم المدوناتِ النثريَّة العربيَّةِ الرائدةِ في العصرِ العباسيّ؛ كيف لا يكون كذلكَ وصاحبَهُ مِنْ أعظمِ الكتّابِ في ذلكَ العصرِ، ورائدٌ من روادِ البيانِ العربيّ، فتأتي أهميةُ كتابِ البخلاءِ مِنْ جانبين، الجانبُ الأوّل: يتمثلُ في كوّنِ كتابُ البخلاءِ صورةً صادقةً ودقيقةً للحالة الاجتماعيَّةِ، والاقتصاديَّةِ، والسياسيَّةِ، ولا سيما للفئةِ التي خصَّها الجاحظُ بالانتقادِ في هذا الكتابِ ـ أعني البخلاءَ ـ إذ استطاعَ الجاحظُ رصدَ هذهِ الظاهرةَ ـ البخلَ ـ، فهي دخيلةٌ على المجتمعِ العربيّ آنذاك، فراحَ ينتقدُ سلوكَ البخلاءِ، وكان لانتقادهِ هذا أغراضٌ تربويَّةٌ، وأخلاقيَّةٌ، إذ تمكنَ مِنْ معالجةِ هذا الموضوعِ بأسلوبٍ فنيٍّ أدبيٍّ، بحيث يخلقُ المتعةَ واللذةَ لدى القارئ، ولا

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثامن
٢٠٢٢م/١٤٤٣هـ

يجعلهُ يشعرُ بالملَلِ عند قراءته لهذهِ القصصِ، أمَّا الجانب الآخر؛ فتمثل في اكتمالِ عناصرِ القصّةِ في هذا الكتابِ، فيعدُّ الجاحظُ الرائدُ القصصيُّ الأوَّلُ في تاريخِ الأدبِ العربيِّ، إذ اكتملتِ القصّةُ العربيَّةُ وتطورت آلياتُها على يديهِ.

ثبت الهوامش:

(١) نظرية الأفعال الكلاميَّة في ظل جهود أوستين، يسمينة عبد السلام، مجلة المخبر، ع١٠، جامعة بسكرة ، الجزائر، ٢٠١٤م، ص١٠.

(٢) ينظر: الخطاب العربيّ وخصائصه عند الجاحظ، (دراسة تحليلية)، زينب عبد الكريم حمزة الخفاجيّ ، أطروحه دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ٢٠٠٨م، ص ٢٩٣.

(٣) ينظر: البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩٩م، ص٢٩٣. (٤) ينظر: مقاربات سوسيو لسانيّة ،أ. م ـ د . نعمة دهش فرحان الطائي، الدار المنهجيّة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٦م، ص٣٦٢.

(٥) ينظر: المصدر نفسه، ص٣٦٣.

(٦) اللغة والمعنى والسياق: جون ليونز، ترجمة عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافيّة العامة، بغداد، العراق، ط١، ١٩٨٧م، ص١٩١.

(٧) ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام) أوستين، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق،١٩٩١م، ص٥.

(٨) ينظر: التداوليّة اليوم علم جديد في التواصل: آن روبول وجاك موشلار، ترجمة، سيف الدين دغفوس ومحمد الشيبانيّ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ص٣١.

(٩) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر، محمود أحمد نخلة، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندرية، (د . ط)، ٢٠٠٢م، ص ٤٤.

(١٠) ينظر: الأساليب الإنشائيّة في النحو العربيّ، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجيّ، ط٣، القاهرة، ص١٣.

(١١) ينظر: نظرية الأفعال الكلاميَّة في البلاغة العربيّة، د. ملاوي صلاح الدين، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، ع ٤، الجزائر، ص٣.

(١٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نخلة، ص٤٤.

(١٣) ينظر: مقاربات سوسيو لسانيّة، أ ـ م ـ د ـ نعمة دهش الطائي، ص٣٦٤.

(١٤) ينظر: المصدر نفسه، ص ٣٨٢ـ ٣٨٣.

(١٥) ينظر: المصدر نفسه، ص٣٦٤.

(١٦) ينظر: نظرية الأفعال الكلاميّة في ظل جهود أوستين، يسمينة عبد السلام، ص١٠٩

(١٧) البخلاء: تحقيق طه الحاجريّ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط٧، ١٩٩٠م، ص١٧٤.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثامن
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

(١٨) صورة بخيل الجاحظ الفنية: أحمد بن محمد بن أمبيريك، ص ١٢٥.

(١٩) ينظر: مقاربات سوسيو لسانيّة، أ. م. د. نعمة دهش الطائي، ص٣٦٤.

(٢٠) التداوليّة اليوم (علم جديد في التواصل): آن روبل وجاك موشلار، ص٣٢.

(٢١) البخلاء: ص٩.

(٢٢) ينظر: سيمياء البخل في كتاب البخلاء للجاحظ، باهية سعدو، ص٩٥.

(٢٣) علم اللغة النصّيّ بين النظرية والتطبيق ـ دراسة تطبيقيّة على السور المكية ـ : د ـ صبحي إبراهيم الفقيّ، دار قباء للطباعة، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٠م، ج١، ص ٦٥.

(٢٤) ينظر: سيمياء البخل في كتاب البخلاء للجاحظ، باهية سعدو، ص١٠٢ـ١٠٣.

(٢٥) ينظر: مقاربات سوسيو لسانيّة، أ. م. د. نعمة دهش الطائي، ص٣٦٤

(٢٦) نظرية الحدث الكلاميّ من أوستين إلى سيرل: د. العيد جلولي، مجلة الأثر، أشغال الملتقى الدوليّ الرابع في تحليل الخطاب، (د ـ ت)، ص٥٩

(٢٧) البخلاء: ص٤٩ـ٥١.

(٢٨) صورة بخيل الجاحظ الفنية: أحمد بن محمد بن أمبيريك، ص ١٢٤.

(٢٩) ينظر: نظرية أفعال الكلام في ظل جهود أوستين، يسمينة عبد السلام، ص١١١.

(٣٠) نظرية أفعال الكلام العامة: أوستين، ص١٧٤.

(٣١) البخلاء: ص ١٦٩ ـ ١٧٠.

(٣٢) ينظر: سيمياء البخل في البخلاء للجاحظ، باهية سعدو، ص١٥٣ـ١٥٤.

(٣٣) ينظر: نظرية أفعال الكلام في ظل جهود أوستين، يسمينة عبد السلام، ص١١١

(٣٤) نظرية أفعال الكلام العامة: أوستين، ص١٧٤.

(٣٥) البخلاء: ص١٧١.

(٣٦) ينظر: صورة بخيل الجاحظ الفنية: أحمد بن محمد أمبيريك، ص٨٩ـ ٩٠.

(٣٧) استراتيجيات الخطاب(مقاربة لغويّة تداوليّة)، عبد الهادي بن ظافر الشهريّ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٣م، ص٤٧٦.

(٣٨) ينظر: نظرية أفعال الكلام في ظل جهود أوستين، يسمينة عبد السلام، ص١١١.

(٣٩) نظرية أفعال الكلام العامة: أوستين، ص١٧٤.

(٤٠) البخلاء: ص٤٩.

(٤١) ينظر صورة بخيل الجاحظ الفنية: أحمد بن أمبيريك، ص ٨٨ـ ٨٩.

(٤٢) نظرية أفعال الكلام العامة: أوستين، ص١٧٤.

(٤٣) البخلاء: ص٧٩.

(٤٤) ينظر: السرد عند الجاحظ: فادية مروان أحمد الونسة، ص ١٨٤.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثامن
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

(٤٥) ينظر: نظرية أفعال الكلام في ظل جهود أوستين، يسمينة عبد السلام، ص١١٢.

(٤٦) نظرية أفعال الكلام العامة: أوستين، ١٧٥.

(٤٧) البخلاء: ص٩٤.

(٤٨) ينظر: السرد عند الجاحظ: فادية مروان أحمد الونسة، ص٢١٣.

(٤٩) البخلاء: ص٩٤ ـ ٩٥.

(٥٠) ينظر: السرد عند الجاحظ: فادية مروان أحمد الونسة، ص٢١٣ ـ ٢١٤.

(٥١) البخلاء: ص٩٥.

ثبت المصادر والمراجع:

١. **ابن امبيريك، أحمد بن محمد:** صورة بخيل الجاحظ الفنيَّة من خلال خصائص الأسلوب في كتاب البخلاء، دار الشؤون الثقافيّة العامة، بغداد، العراق، (د ـ ط)، (د ـ ت).

٢. **الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر:** كتاب البخلاء، تحقيق طه الحاجريّ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط٧، ١٩٩٠م.

٣. **الخفاجيّ، زينب عبد الكريم حمزة:** الخطاب العربيّ وخصائصه عند الجاحظ، (دراسة تحليلية)، أطروحه دكتوراه، جامعة بغداد ،كلية التربية للبنات، ٢٠٠٨م.

٤. **الشهريّ، عبد الهادي بـن ظافر:** استراتيجيات الخطاب (مقارنة لغويّة تداوليّة)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت،٢٠٠٣م.

٥. **الطائيّ، أ.م.د نعمة دهش فرحان:** مقاربات سوسيو لسانيّة، الدار المنهجيّة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٦م.

٦. **العمري، محمد:** البلاغة العربيّة، أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩٩م.

٧. **الفقي، د.صبحي إبراهيم:** علم اللغة النصّيّ بين النظرية والتطبيق ـ دراسة تطبيقيّة على السور المكية، دار قباء للطباعة، القاهرة، مصر، ط١، ج١، ٢٠٠٠م.

٨. **الونسة، فادية مروان أحمد:** السرد عند الجاحظ (البخلاء انموذجاً)، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، كلية الآداب، العراق، ٢٠٠٤م.

٩. **آن روبول، وجاك موشلار:** التداوليّة اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة، سيف الدين دغفوس ومحمد الشيبانيّ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، (د ـ ت).

١٠. **أوستين:** نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، ترجمة، عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، (د ـ ط)،١٩٩١م.

١١. **جلوليّ، د.العيد:** نظرية الحدث الكلاميّ من أوستين إلى سيرل، مجلة الأثر، أشغال الملتقى الدوليّ الرابع في تحليل الخطاب، (د ـ ت).

١٢. **سعدو، باهية:** سيمياء البخل في كتاب البخلاء للجاحظ، رسالة ماجستير، جامعة معمري تيزي وزو، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، الجزائر، ٢٠١٠م.

١٣. **صلاح الدين، د.ملاوي:** نظرية الأفعال الكلاميّة في البلاغة العربيّة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، ع٤، الجزائر، (د . ت).

١٤. **عبد السلام، يسمينة:** نظرية الأفعال الكلاميَّة في ظل جهود أوستين، مجلة المخبر، ع١٠، جامعة بسكرة، الجزائر، ٢٠١٤م.

١٥. **ليونز، جون:** اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافيّة العامة، بغداد، العراق، ط١،١٩٨٧م.

١٦. **نخلة، محمود أحمد:** آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندرية، (د . ط)، ٢٠٠٢م.

١٧. **هارون، عبد السلام محمد:** الأساليب الإنشائيّة في النحو العربيّ، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط٣، (د . ت).

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثامن
٢٠٢٢م /١٤٤٣هـ

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية